

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٠٤٤ : السعادة ١ - السعادة لا تكون بكثرة المال .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٨-٠٧-١٩٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله نعمده ، و نستعين به و نسترشده و نعوذ به من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لك ، إقراراً بربوبيته و إرغاماً لمن جحد به و كفر ، و أشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق و البشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلي وسلم و بارك على سيدنا محمد و على آله و أصحابه و ذريته و من تبعه ذي إحسان إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا ، و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و أرزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه ، و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تمهيد

أيها الإخوة المؤمنون ، حينما يبصر المرء مباحج الدنيا وزينتها وزخرفها وفنون المتع فيها ، حينما يبصر كل هذا ولا يستطيع أن يمتلك منه شيئاً .. إنه ينظر بعينه ويتحسر بقلبه .. فحينما يرى أحداً قصراً منيفاً ، تحفُّ به حدائق غناء ذات بهجة ، وحينما يرى سيارة فارهة تمشي في الطرقات مشياً ، وحينما يرى متجرراً أنيقاً مزداناً بكل طريف ، وحينما يرى مكتباً فخماً تفوح منه رائحة الثراء ، وحينما يرى مزرعة نصررة تتوسطها دارة كبيرة في مصيف جميل ، وحينما يرى ... وحينما يرى ... وحينما يرى ...

إلى ما هنالك من زينة الحياة الدنيا .. قد يقول بينه وبين نفسه ، ما أسعد هؤلاء ، إنهم لذووا حظوظ عظيمة ، وقد تشبث به الأمانى فيقول : ليتني أملك مثل ما يملكون .

شعور النقص وكيفية علاجه من خلال القرآن .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ماذا تخلف هذه النظرات وتلك التنهدات في النفس .. وماذا تترك صوراً هذه المغريات في القلب ..



لا تمنى ما عند الغني حتى لا تشعر بالهوان

إنها قد تخلف في النفس شعوراً بالنقص أو شعوراً بالهون .
 أو تخلف فيها شعوراً بالحرمان والشقاء .
 أو تخلف فيها شعوراً بأن الله يعطي من يشاء ويحرم من يشاء دون أن يكون لهذه المشيئة قاعدة أو نظام .
 وقد يشتط به التفكير فيرى أن المتدينين أناس فاتهم قطار الدنيا فالتفتوا إلى الدين ليعوضوا به نقصهم وحرمانهم .
 أيها الأخوة ؛ هذه حالة مرضية خطيرة سببها نقص في الإيمان ، وانحراف في التفكير وضيق في الأفق .. هذه حالة مرضية تستوجب المعالجة .. والقرآن الكريم الذي جعله الله شفاءً للنفوس وجلاءً للقلوب وهادياً للتي هي أفوم عالج هذه الحالة المرضية التي تصيب الإنسان حينما يتطلع في الدنيا إلى من هو فوقه ، ولكن لماذا نقرأ القرآن تبركاً ولا نقرؤه تفهماً ؟



لماذا نقرؤه تطرباً ولا نقرؤه تمعناً ؟
 لماذا نقرؤه في خريف العمر ولا نقرؤه في ربيعته ؟
 لماذا نقرؤه عند القبور ولا نقرؤه في أهباء القصور ؟
 لماذا نقرؤه على موتانا ، ولا نقرؤه على أحيائنا ؟
 لماذا نقرؤه ولنتمس العلاج في غيره ؟
 أيها الإخوة المؤمنون ؛ تعالوا لنرى

كيف عالج القرآن هذه الحالة المرضية التي تحدثنا عنها آنفاً .

لقد عالجها بشكل رقيق وبأسلوب قصصي شائق ، وبطريقة غير مباشرة ، فقال :

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَنَدُو حَظٌّ عَظِيمٌ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْكَأَنَّ

مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكْأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾

[الآيات: ٧٦-٨٤ سورة القصص]

قصص قرآنية

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في هذه القصة دلالات كثيرة نقف اليوم عند بعضها ، ونقف إن شاء الله
في خطب لاحقة عند بعضها الآخر .

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ
أُولِي الْقُوَّةِ﴾

[الآية: ٧٦ سورة القصص]

إذا استثنينا الأغنياء من المؤمنين ، أولئك المتواضعون المتسامحون الذين ينفقون أموالهم بالليل
والنهار سراً وعلانية تقرباً إلى الله عز وجل ، والذين لا يتيهون على الناس بما عندهم ، ولا
يخرجون في زينتهم ، فيزرعون في قلوب الفقراء الحقد والحسد ، ولا يحملهم غناهم على السرف
والترف والتبذير ، ولا تغريهم الدنيا بزینتها ، ولا تدفعهم أموالهم إلى المعاصي والفسوق والفجور
، إذا استثنينا هؤلاء وهم قلة ، فإن الغنى ليس في صالح الإنسان إذا لم يكن مؤمناً مستقيماً ، قال
تعالى :

﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية: ٢٧]

إذا كثيراً ما يقود صاحبه إلى السرف
والترف والتبذير وإلى الفسق والفجور
والعصيان ، واستمعوا إلى القرآن
الكریم ، وقد رد فيه الترف في ثمانية
مواضع وفي كل هذه المواضع قرن
الترف بالكفر والفجور .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتْرَفْنَاهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ



الغنى في أغلب الحالات يقود للترف والفجور

مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٢٣﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٢٣]

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَّا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾

[الآيات: ١١-١٥ سورة الأنبياء]

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾

[الآيات: ١١٦-١١٧ سورة هود]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقْرِبِكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾

[الآيات: ٣٤-٣٧ سورة سبأ]

﴿وكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾

[الآية: ٢٣ سورة الزخرف]

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَنَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لِمَبْعُوثُونَ * أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾

[الآيات: ٤١-٥٠ سورة الواقعة]

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

[سورة الإسراء الآية: ١٦]

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ * لَّا تَجَارُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِّنَّا لَّا تَنْصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكُصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآيات: ٦٤-٦٩]

أيها الإخوة المؤمنون ، هذه ثمانية مواضع في القرآن الكريم ورد فيها الترف مقترناً بالفسق والفجور والكفر بالله والتكذيب بآياته ورسوله .

إذاً : فالغنى وحده من دون إيمان واستقامة ليس دليلاً على حُطوة العبد عند ربه ، بل العكس هو الصحيح ، قال تعالى :

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ
الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾

[الآية: ٣٧: سورة سبأ]

إن هذه الدنيا عرض زائل ، يأخذ منه البرّ والفاجر ، ولو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء .
ولا يذهبن بكم الظن إلى أن الفقر وحده من غير إيمان واستقامة دليل على حظوة العبد عند ربه ، فقد يكون الفقر حاجزاً وعلاجاً .



ولكن الحقيقة أن أكرمكم عند الله أتقاكم،
أغنياء كنتم أو فقراء ، فليس الفقير
الصابر بأفضل من الغني الشاكر، وقد
قال عليه الصلاة والسلام:

((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ
وَلَيْسَ ذَلِكَ لِنَأْحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ
سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

[أخرجه مسلم وأحمد والدارمي عن صُهَيْبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

[
ويا أخوة الإيمان ، تمنوا كما تمنى لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا ربكم كما دعا لكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال :

((اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً))

أي أن يكون رزقهم كافياً لهم من دون حرمان ، وشعور بالحاجة ومن دون سرف وتترف وتبذير.
وإذا أصبح أحدكم آمناً في سربه معافى في جسمه عنده قوت يومه فكأنما ملك الدنيا بحذافيرها .
أو كما قال .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ،
واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله صاحب الخلق العظيم .

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإقتار ، فנסأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذنم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء .
اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها عنا إلا أنت .

والحمد لله رب العالمين